أدب الطّفل والتّأليف في الجزائر

نعيمة سميلي
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة سيدي بلعباس

ملخص:

شهدَ أدب الأطفال في الجزائرِ مراحلاً وظروفًا قاسية، هي التي جعلته يتأخّر من حيث الإنتاج والإبداع مقارنة مع سابقتها من الدول الغربيّة والعربيّة على حدّ سواء، لكن بفضل احتكاكهم بالدّول المتقدّمة عرف تطوّرا ملحوظا لم يشهده من قبل رغم قلّة إنتاجه في الجزائر ودارسيه دراسة معمقة .

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل ; الأدب الجزائري ; الموروث ; الإبداع

يعدّ أدب الأطفال في الجزائرِ عمل إبداعي بطبيعته لاشتماله على ثقافات ومفاهيم وقيم وطموحات مستقبليّة، كما أنّه هو شكل من الأشكال الأدبيّة المتعارف عليها في أدب الكبار التي يجب أن يراعى فيها المستوى الإدراكي والانفعالي والعاطفي لهذه الفئة العريضة في كلّ مجتمع، والتي تساير مراحل نموهم واحترام خصوصية كل مرحلة منها، مع التقيّد بمبادئ الإسلام التي تساعد أطفالنا على التّوجيه السّليم والتربيّة الصّالحة .

كما أنّه ذلك الأدب الموروث الذي تتوارثه الأجيال، وهو في نفس الوقت أدب الحاضر وأدب المستقبل موجّه إلى مراحل عمريّة محدّدة، وهو دائما في تجدّد مستمر حسب الزّمن الذي يعيش فيه المجتمع.

فكلّ ما يقدّم للأطفال من كتابة أو قراءة، أو رسوم أو صور، أو مجلاّت أو قصص أو مسرحيات أو أشعار ... لكي يقرأها الطفل ويراها ويسمعها ويفهمها، فهو أدب الطّفل لأنّه موجّه إليه حسب مراحله العمرية المختلفة . وهذه الأعمال لأدبيّة الموجّهة للأطفال لها أهميّة كبيرة في حياة الطّفل، كما أنّها تتضمّن أهدافًا متنوّعة ومتعدّدة لها دور كبير في علاج بعض الأمور والمواقف التي يتعرّض لها الطّفل في جميع نواحي الحياة بسلبياتها وإيجابياتها .

أدب الطفل بين الإبداع والتلّقي :

أدب الأطفال هو عمل إبداعي بطبيعته فأينما يكون الإبداع توجد صعوبات في الوصول إليه، لأنّ الشّكل الفنّي المكتمل أو غير ذلك يحتاج إلى موهبة وخبرة ودراية حتّى نتقرّب من فهم الطّفل سواء من النّاحية النّفسية أو الاجتماعيّة.

ومن هنا يمكن القول بأن أدب الأطفال يساعد الطّفل على فهم الحياة بخيرها وشرّها، وهذه الحياة لا يمكن فهمها إلاّ من خلال التّجارب والخبرات المعاشة، حتّى يتسنّى له أن يحسّ بقيمتها ويرى أنّها جديرة بأن تعاش وفق أطر ومقاييس، كالعطاء والسّعادة والمرح وما إلى ذلك . فالوعي عملية شاملة تخصُّ مجمل شخصية الطّفل بما فيها الذّكاء والخيال، وكل الجهاز العاطفي والانفعالي .[1]

وأن يساعده على وعي نفسه من خلال علاقته بالآخرين، لأنّ الطّفل بحاجة إلى الرؤية الواضحة لمخاوفه وتطلّعاتِه، وإلى وعي مشاكله وصراعاته، مع إيجاد حلول لهذه المشاكل، وإلى تجاوزِ الحدود الضيّقة لوجوده المتمركز حول ذاته، ومن هنا يمكن للطفل أن يخرج من هذا العالم " التّبعي " إلى وجود مستقل يناسب حاجاته .[2]

كما يجب على الأديب أن لا يجعل الطّفل يرى الحياة دائما مليئة بالمفاجآت، والسّعادة وبعيدة عن كل ما يتعب النّفس، أو عكس ذلك فهذا خطأ كبير يجب أن يتفاداه الكتّاب حتى لا ينخدع الطفل وتحدث له صدمات تؤثر على نفسيته، لأنّ الطّفل في هذه الحالة لم تكتمل شخصيته خاصة في بداية مراحله العمرية الأولى، حتّى أنّه غير قادر على التّمييز بين الصحيح والخطأ، لابدّ أن نفتح أمامه بابًا واسعًا لرؤية الواقع، فالحياة مليئة بالمفاجآت والخبرات وهي عبارة عن ازدواجيّة فيها جانب الخير وجانب الشّر، جانب السّعادة وجانب الحزن ... وهذا ما يجب أن يركّز عليه المبدع في أيّ عمل أدبي موجه للطّفل .

هذه الأمور كلّها يمكن ضبطها بمقاييس التجربة الإسلاميّة، ونتائج الدّراسات النّفسيّة والتّربويّة والاجتماعيّة التي توصّل إليها المخلصون من العلماء بأنّ الذين يندفعون إلى الكتابة للأطفال دون إدراك لعظم المسؤوليّة، مثلهم كمثل الذي اقتحم حقل ألغام، ولا يعرف الممرّات الآمنة التي يستطيع اجتيازها بسلام .[3]

كما أنّ لأدب الأطفال وظيفة كبرى، فهو يساعد دائما على صياغة الفكر بالمنهج الإسلامي الصادق، وتشكيل الوجدان للطفل المسلم من خلال ما يقرأ ويسمع من مختلف القصص والحكايات والأناشيد والمسرحيات...، وحبّ العلم باعتباره فريضة من خلال القصص العلميّة التي تفتح الآفاق أمام عقل الطفل، وطبع سلوك الطفل بالطّابع الإسلامي، مع تحديد مفهوم السّعادة للطفل من خلال تصوير أحداث وشخصيات تعمّق في وجدان الطّفل وعقله الصّورة الفاضلة للمتعة الروحية والنفسية .

ويساعد على تنمية ملكة الخيال المتّزنة عند الأطفال، وترسيخ العقيدة للطفل كأن يعرف بأنّ هناك من أوجده وأخرجه إلى هذا الوجود، وينمّي مداركه، ويساعده على فهم الحياة.

كذلك يوضح له الحب بمعناه الإيجابي الواسع الشامل للأطفال، لأن الحب عاطفة مهمّة وضرورية للطفل، سواء من الناحية النفسيّة أو البدنيّةِ، ويساعده على تنمية الإحساس بالجمال، لأنّ تذوّق الجمال من أعظم لغة الفن والأدب، فالتذوق الجمالي لدى الطّفل يجعله وثيق الصلة بسلوكه المستقبلي وحكمه على الأمور، واتّخاذه للمواقف المؤثّرة في حياته، كما أنّه يساهم في الحفاظ على حالته التوتّريّة الصحيّة وتوجيهها.[4]

ويعدّ الأطفال للحياة في عالم الغد، ويحقّق لهم التهيئة النفسيّة والوجدانيّة والعلميّة والعمليّة لاستقبالهِ استقبالاً صحيحًا، والمواجهة لكلّ ما يحدث من تغيّرات جديدة، كما له دور هام في إثراء لغة الطفل باعتبار هذه اللغة وثيقة الصّلة بالتّفكير .

كما أنّ هذه الألوان الأدبية المقدمّة للأطفال يجب أن تكون ذات صفة إيجابية، ومقدمّة بوسائل شديدة الفعالية مثل : التّقليد والقدوة الحسنة، والاستهواء كأن يتقبل آراء الآخرين ممّن يعجب بهم الطفل ويقدرهم من غير نقد أو مناقشة .

وبالتالي أدب الأطفال الناجح هو الذي يحبّب الأطفال في الكتب والقراءة، وكل ماله صلة بالعلم والمعرفة الحديثة، ويحقّق الألفة بينهم وبين الأطفال، كما يساعدهم على النضج، وعلى فهم النّفس البشريّة، واستيعاب الحياة بمقوّماتها الجديدة المتغيّرة .[5]

يساهم في إشباع رغبات الأطفال وتسليتهم وإمتاعهم وملء فراغهم، وتنمية دقّة الملاحظة والتّركيز والانتباه لديهم، ومساعدة الأطفال في التعرّف على بعض الشخصيّات الأدبيّة والتاريخيّة والدينيّة والسياسيّة، من خلال قصص البطولة وأعلام الماضي والحاضر، و يجعل الطفل يشعر بأنّه إنسان متميّز من خلالِ اطّلاعهِ على أشياءٍ كثيرةٍ كتعرّفه على العادات والتّقاليد التي عليه إتّباعها في مختلف الظّروف، وترسيخ الشّعور بالانتماء إلى الوطن والأمّة والعقيدة من قبل الطّفل .

كما يجب أن يوقظ أدب الأطفال في أطفالنا مواهبه واستعداداته، ويقوّي فيه ميوله وطموحاته، وينهي به إلى الشّغف بالقراءة والمثابرة عليها، كما يجب أن يكتب أدب الطفل بلغة تكون في مستوى جميع الأطفال الموجّهة إليهم، بحيث يتذوّقونه في يسر دون مشقة وتعب. [6] فكل هذه الأهداف والأسس التي يحقّقها أدب الأطفال لها دور إيجابيّ في تغيير هذا الجيل الصّاعد نحو الأفضل .

هذه الأهداف لم تحدّد عبثًا، إلاّ بعد دراسات وأبحاث عديدة مرّت بالمبدعين وبنخبة من الأدباء بعد معاناة، عندما اكتشف أدب الأطفال بكل أنواعه، لخوذ هذه التجربة الأدبية والإبداعية بدقّة وإعطائها عناية كبيرة .

أدب الطفل في الجزائر المعاصرة :

أدب الطفل بصفة عامّة في الجزائر المعاصرة حديث يختلف عن جزائر ما بعد الاستقلال، حيث يرى الدّكتور **يخلف** أنّه توجد كتابات عديدة لكن لا ترقى إلى مستوى أدب الطّفل من المستوى المعرفي والإدراكي والمعارف التي يمتلكها في محيطه، مشيرًا إلى أنّ العائق الذي يقف وراء غياب الكتابة للطفل في الجزائر هو الكتابة في حدِّ ذاتها، والتي قال عنها إنّها تمتلك خصوصيات هي صعبة جدا، كما أنّ عدم فهم الطفل واحترام حاجياته سبب انعدام الثّقة بين المؤلّف والطفل. [7]

وهذا يعني أنّ بعض الكتّاب أهملوا جانبا كبيرا من حياة الطفل، لأنّهم لم يراعوا الكتابة التي تتناسب مع سنّ الطفل، وحتّى اللّون، والصّورة التي أصبحت الآن طريقة لإيصال المعلومات للطفل قد لا تتوافق مع النّص المكتوب حاليا، وأصبح همّ بعض الكتّاب الإبداع من أجل الشّهرة فقط، وحتى دور النشر أصبحت تهتم بنفسها من أجل تحقيق أرباح باهظة على حساب الأطفال، وهذا ما يجب الحذر منه في تقديم أعمال لا تتوافق مع أطفالنا في الجزائر .

يعدّ أدب الطفل خبرة لغوية ممتعة تنمّي الطفل حين يتذوّقها ويتفاعل معها، لأنّ باللّغة تصوّر العواطف الإنسانية والأحاسيس الخفيّة، وترسم بها صوّر الحياة على اختلاف أشكالها وأنماطها بإيجابياتها وسلبياتها . وعلى هذا فإنّ أدب الطفل بشتّى أنواعه يتفاعل معه الطفل ؛ لأنّه يترك بصمة في وجدانه، وسلوكه وعقله، ويساعد على نموّه تدريجيًّا، وفي تكوين شخصيّته وبلورة مفاهيمه، ومساعدته على التّكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه .

وأدب الأطفال في الجزائر متعدّد الأشكال الفنيّة سواء من حيث وسائط التّعبير المتمثّلة في الكتب والصّحافة والمجلاّت والبرامج الإذاعية ... أو من حيث فنون التّعبير المتمثّلة في القصّة، والأغاني، والأشعار ...، ومن بين الفنون التّعبيريّة الأدبيّة في أدب الأطفال والأقرب إلى الفهم هو المسرح لأنّه أكثر جذبًا للطّفل واستقطابًا لاهتمامه يعتمد بنيانه

على الواقع المحسوس المشاهد، ويأخذ شكله اللّغوي حينما يؤدّى على خشبة المسرح لكي يتلقّاه الجمهور سواء أكان هذا الجمهور من الصّغار أم الكبار.

فأغلب الأعمال التي تكتب للطّفل حاليًا في الجزائر منها ما هو مترجم، ومنها ما هو مقتبس من نصوص أخرى إلاّ العدد القليل منها، كما أنّ أغلب هذه الأعمال يطلّع عليها التّلاميذ فقط في المدارس الابتدائية في حصّة المطالعة التي كانت موجودة في البرنامج سابقًا ثمّ حذفت، وهذا يؤدي سلبيًّا لتراجع نسبة الأطفال عن المطالعة، وخاصّة النّصوص المسرحيّة التي تكتب ثم تهمل، لهذا نجد أنّ معظم النّصوص المسرحيّة ضاع الكثير منها لعدم التدوين .

بعد مرور فترة من الزّمن تطلّع الكتّاب في الجزائر إلى الثّقافات التي اكتسبها الأطفال في الدول الأجنبية والعربية وتقدمهم وتفوّقهم على أطفالنا، من هنا سعوا إلى تخصيص قناة تهتم بأطفالنا – قناة جرجرة – تقدم لهم نكت وآراء وقصص قصيرة وخاصة الدينية منها وأشعار ومسرحيات، يقدمها الأطفال بمختلف الأعمار، كما خصصت كذلك حصة خاصة بسرد حكايات شعبية من طرف الكبار للأطفال وهذا راجع لاهتمامهم بالطّفل من أجل تطوير مواهبه، ولكنّ رغم ذلك تظلّ هناك بعض النّقائص تلاحق أدب الطّفل في الجزائر.

نجد أنّ أغلب كتّاب أدب الأطفال في الجزائر تضمّنوا أهدافًا تربوية في نصوصهم الموجّهة للأطفال بغرض الرّعاية والتّوجيه، مهما كانت رسالة الأديب الثّقافيّة الموجّهة إليهم، وفي أيّ وسط ثقافي أو أدبي .

كما لا بدّ للذين يكتبون للطّفل أن يراعوا الأهميّة التربويّة في أعمالهم وأن لا يغفلوا جانب التّرفيه في حياة الطّفل، لأنّ التّربية لآن أصبحت محلّ العناية البالغة في أدب الأطفال، وهي أول شيء على الأديب أن يقف عندها في كتاباته، كي ينشأ الطفل على قيم وأخلاق صالحة يهتدي بها في المستقبل، ومن هنا نرى بأنّ المسرح هو الوسيط الوحيد الذي بإمكانه أن يؤدي هذه الرسالة على أحسن وجه .

وهذه التربية هي ما دعا إليها الدكتور عبد المالك مرتاض في أدب الأطفال عامّة حين قال بأن : « الطّفل قرنفلة فوّاحة إن غرست داخل تربة صالحة نمت وأرسلت شذيّا وتضوّعت عبيرًا وأريجًا، وإن هي أهملت غدت نبتة مشوّكة تدمي فؤاد المتيّم بها قبل أن تلسعه بأشواكها وتسيء إليه بمنظرها الكالح وتمرّدها الهجن ! » .[8]

وهذا يعني أن الطفل إذا أحسنت تربيته تربيّة صالحة لا تخشى عليه في المستقبل، وإن أهملته فلا تنتظر منه سوى الأسوء.

إنّ رعاية الكبار للصّغار تستوجب الاهتمام بأدب الأطفال وثقافتهم، فالجانب الفكري له الأهمية القصوى في عملية النشأة والتربيّة، وهذا يتطلّب من الكبار أن يكونوا على وعي كاف بما يدور في هذا الأدب حتّى تتحقّق قراءة الأولاد غايتها المنشودة، فلا يتركوا ضحايا للآخرين .[9]

فكلّ من البيت والمدرسة والمكتبة ووسائل الإعلام بما فيها السمعيّة والمرئيّة وكلّ ماله صلة بأدب الأطفال عليه أن يحقّق عنصر البناء والتّحصين للأطفال .

لذا يجب على الأديب أن يراعي هذه الخاصية لأنّ الطّفل لديه موهبة خارقة، وهذه الموهبة إذ لم يعمل على تفتيقها وتوجيهها تظلّ كامنة وحبيسة فيه .[10]

إذن ندرك من ذلك أن أدب الأطفال عالم خاص له تأثيره النفسي والسلوكي في حياة الطفل ومتمّم للعمليّة التربويّة برمّتها . يتطلب تفهماً واسعاً ودقيقاً لنفسيّة الطّفل وظروفه وإمكاناته المختلفة باعتباره عمليّة أساسية في المنظومة التّربوية.

هذا لا يعني أن التربية وحدها كافية بإنشاء طفل اليوم دون تحقيق أهداف أخرى تساهم في إشباع رغبته.

كذلك لولا اطّلاع الكتاب على ثقافة الطفل لما وصلوا إلى ما هم عليه الآن، لأنّ لكلّ طفل ثقافة خاصّة به حسب اختلاف المجتمعات من عادات وتقاليد وقيم ... وحتّى اللّغة تختلف من طفل لآخر حسب المنطقة التي يعيش فيها، لذا وجدنا الكتّاب استخدموا اللّغة العربيّة الفصحى القريبة من قاموس الطفل، كي يقتربوا من الطّفل أكثر، ويحبّبوا له اللّغة العربيّة بشكلها المبسط .

فالطفل الآن أصبح له عالم خاص به، وهذا العالم يعرف من خلال ثقافة المجتمع، لأنّ هذه الثقافة غالبا ما تنعكس على الطّفل إما بالسّلب أو الإيجاب .

بما أنّ ثقافة الطّفل هي إحدى الثّقافات الفرعية في المجتمع هذا يعني أنّه جزء من ثقافة المجتمع عامّة، وبما أنّ الطّفولة تمرُّ بمراحل عمرية مختلفة، فإنّه يمكن القول أنّ هناك ثقافة خاصة للطفل في كل مرحلة من مراحل نموه، بحيث تتوافق مع خصائصه وحاجاته .

وبالتالي يمكن القول بأن المجتمع الجزائري يسعى دائمًا على نقل ثقافته إلى الطفل، والطّفل يتقمّص تلك الثّقافة حسب الطّريقة الخاصّة به .

كما أن أفضل طريقة لإيصال الثقافة للأطفال تكون في السّنوات الأولى من حياتهم، لأن هذه الفترة هي أكثر أهميّة في تشكيل ملامح شخصيّة الطّفل، وبالتّالي قد تؤثّر البيئة الثّقافية التي يعيش فيها الطفل تأثيرًا كبيرًا سواء في نموه العقلي كالإدراك والتّخيل والتّفكير، أو الانفعالي مثل القلق والخوف، أو الاجتماعي كالعادات والقيم والأفكار والاتّجاهات، لأنّ الطّفل يكتسب من هذا المجتمع أنماطًا سلوكية مختلفة . [11]

إنّ اختيار الموضوعات للأطفال ليس بالسهل، لأن المبدع إذا تميّز بكثير من الدّقة لما لها من تأثير على عقول الناشئة الواجب علينا توعيتها وإرشادها يستطيع أن يكتب لهذا الطّفل ويدخل عالمه بكلّ سهولة، ولكن في إطار معيّن، مع أخذ الحيطة والحذر دائما في أي عمل يشرع في كتابته، أو في تقديمه لهؤلاء الأطفال .

فكل ما كتب لأطفال الجزائر كان متنوّعًا من حيث الموضوعات والأغراض والأهداف حتى لا يجعلوا الأطفال ينْشدّون بتركيزهم على هدف واحد فتكون هناك إضافة إلى الهدف الأساسي أهدافًا ثانويّة أخرى تتّصل بالهدف الرّئيسي، وتتكامل معه حتّى لا يفقد المضمون الكتابي وينعكس على الطّفل بالسّلب.

كما تنوّعت أيضا من حيث مصادرها، منها ما هو مأخوذ من قصص التراث العربي الذي مازلنا نسعى إلى استنطاقه و استكناهه وسبر أغواره، ومنها ما هو مقتبس من التّراث الشّعبي ومن الأمثال خاصّة، بالإضافة إلى الموضوعات اللّغوية هدفوا من ورائها إلى تبسيط قواعد اللّغة العربية : من نحو وصرف وإملاء، ولكنّها كانت قليلة بالمقارنة مع الموضوعات الأخرى، غير أنّ حرصهم فيها كان منصبًّا على جوانب معروفة في شروط الكتابة للطفل منها

بساطة اللغة وقصر الجمل، وسهولة الأسلوب، ووجود أغراض تربوية وقومية وجمالية. إن أغلبها له مبنى ومعنى إلى درجة كبيرة لتنمية خيال الطفل وتطوير معارفه وعلومه وبناء شخصيته وتهيئته ليكون في المستقبل مبدعاً ومبتكراً وقادراً على مواجهة الواقع المعاش، والإعداد من أجل حاضره ومستقبله، ولا ريب في أنّ الخطاب المباشر للطفل واعتماد الوعظ والاهتمام به، لصقل إحساس الطفل وإثراء خياله وتنمية وجدانه وتحفيزه على الإبداع.

هذه الأهداف التي رمى إلى تحقيقها الكتّاب في نفوس الناشئة كانت من أجل الإصلاح والتغيّر نحو الأفضل كما قال صابر عبد الدّايم بأنّ : « الهدف ليس التّلقين بقدر ما هو للتبصير والتّوعية ».[12]

هذا يعني أن تراثنا الجزائري والعربي **قادر** على إبداع جديد يأخذ بأحدث ما وصل إليه فنّ الكتابة، وأن يرسّخ الهويّة والانتماء في وجدان أطفالنا، وهو يقدّم له تاريخنا وحضارتنا ويعرّفهم على عبقرية هذا الوطن تاريخيّاً وجغرافيّا، وسكان تلك الجنة التي تسكن في كل شبر منها ليس لها مثيل ولا يشبهها مكان لأن بلد الجزائر غنية بكتّابها وشعرائها ليبدعوا لجيل الأمل والمستقبل عن أمجادها وأبطالها، وأهمّ ثوراتها وكل ما يتعلق بالطفل في حياته سواء من ناحية التعليم أو التربية ....

كل موضوع من أدب الطفل يترك **أثرا عميقا** في عقل الطفل وتفكيره، وانطباعا قويّا في نفسه ووجدانه . والهدف من كل هذا ترغيب الطّفل على الدّراسة والاجتهاد، وتعلّم الصّفات الحميدة والأخلاق العاليّة، ومن أجل رعاية مواهب الأطفال، وتوفير المناخ الأمثل لهم للظّهور والنّمو بعيدًا عن الضّغوط والأخطار التي يمكن أن تهدّدهم في هذا العصر الذي طغت فيه العولمة الثّقافية، والتطوّر التّكنولوجي.

كما أنّ أهميّة هذه الموضوعات الموجّهة للطّفل، تنبع من أن تصبح نهرًا للأفكار العظيمة التي تنير درب الجيل الصّاعد بكل رمّته، وكل موضوع له هدف واضح وعميق يربط علاقته بالطّفل، حسب الاختلاف في العمر، وكلّما كان الهدف عميقًا وقويًّا وقريبًا من الأطفال كان الإقبال عليها كبيرًا. والأطفال قد يستفيدون من هذه الموضوعات مادامت أنّها حقّقت أهدافًا تمتاز بمادّة مثيرة ومؤثّرة .

وكان هدف الكتّاب من وراء ذلك مساعدة الطّفل أن يعي أمور الحياة من خلال تجارب الآخرين، وأن يتطلّع على أمور الدين، كي يستطيع الطفل أن يعيش بسلام في هذه الدنيا المليئة بالمفاجآت.

نلاحظ أن الكتّاب لم يتطرّقوا فقط إلى اختيار مواضيع واقعيّة قريبة من حياة الطّفل العادية بل تعدّوها، هناك مواضيع منسوجة من الخيال، وشخصياتها وهمية وهذا ما وجدناه في أغلب ما يكتب للطفل من مواضيع متنوعة، ومرة يذهبون بالطفل إلى الفكاهة والمرح ومرة يسبحون بخيال الطفل إلى الأفق ... وهذا دليل على قدرة الكاتب في تطلعاته على عالم الطفل .

كما أنّ مضامين النّصوص التي تناولها الكتّاب في الجزائر ساهمت في خلق حالة من الحبّ المتواصل بين الطّفل وعالمه المحيط به . مع نبذ مفاهيم الشرّ والالتزام بقضايا الخير من أجل المجتمع والوطن .

وأنّ أغلب النّصوص المقدّمة للطّفل تتناص مع نصوص أخرى وهذا ما لحظناه في أغلب النّصوص الموجهة للأطفال في الجزائر إمّا مع قصص أو أشعار، أو قرآن، أو حديث ... كما استحضروا الموروث الشعبي . وهذه الإضافات زادت من تجميل نصوصهم مع إعطائها صورة و إضاءة جديدة، لكي توسّع من آفاق الدّراسات .

تعدّ تجربة **الكتّاب في الجزائر** من أنضج التّجارب الموجّهة للأطفال، حيث نجدها غنيّة بإبداعات جديدة، وكل كتابة تتميّز عن الأخرى بأفكار وأساليب مختلفة، رأينا ذلك من خلال اللّمسات التي وضعها الكتاب للأطفال . حينما مزجوا بين الشعر والنثر وبين المسرح والشعر والعكس هكذا.

كما نجد كتّابنا في الجزائر قد نهلوا من مواقع كثيرة من المجتمع والدين والتاريخ ... وهذا يعني أن الوظيفة التّناصية لا تنحصر في مستوى واحد من مستويات النّص، وإنّما كانوا يجمعوا في نصّ واحد نصوصًا متنوّعة، من أجل أن يجعلوا الطّفل متعدّد الثّقافات، منها معرفة التّاريخ وحفظ القرآن الكريم وفهم معانيه من خلال بسط فكرة النّصوص المقدّمة لهم، والحديث النبوي الشريف وربط الطفل بالموروث الشعري، وبالأمثال الشعبيّة التي تصوّر الحياة بمختلف اتّجاهاتها، وهذا الموروث الشّعبي هو من أهم المصادر التي استقى منها أغلب الكتاب أهم أعمالهم الإبداعية.

حيث يرى أنس دواس في هذا الصدد بأنّ الشّعر قادر على تحريك كثير من مظاهر النشاط الكامنة في روح ونفسية المتلقي، وهو يجعل الأطفال أكثر وعيا بوجود طاقاتهم الخيالية وعوالمهم الوجدانية .

ومع ذلك يؤسس- بوسائله الإيجابية – خبرة بالإنسان وبالحياة، ويؤصل الأفكار والمشاعر، كما له دور كبير في اجتذاب النفوس، والتّأثير في الأحاسيس وتشكيل المزاج النّفسي.[13]

خلاصة :

وبالتالي يمكن القول بأن لا أحد يمكن أن ينكر ما قدّمه كتّابنا لأطفالنا من حيث إثراء نصوصهم بمصادر مختلفة خدمته في كل جوانب حياته، وهذا يعني أنّ نصوصهم تعتبر بمثابة الجوهرة الوحيدة في الجزائر التي استطاعت أن تعالج الطفل في كلّ جوانبه، فهي مصدر لتثقيفه – تعليمه – تربيته – توعيته – إصلاحه – ترفيهه....

إنّ أدب الطّفل في الجزائر قد قطع أشواطًا كبيرة سواء من حيث الإبداع والاقتباس والنّشر، ولكنّه ظلّ يفتقد لتلك الدّراسة التي تثمّنه وتعطيه قيمته الفنيّة والأدبيّة، لأنّ هذا الأدب أهم ممّا يتصوّره البعض فهو يؤطر لأجيال المستقبل . رغم أنّ هناك بعض الدّراسات تعدّ بالأصابع قد ظهرت في الآونة الأخيرة، وهذا يعدّ من الإيجابيات التي سيشهدها أدب الطفل في الجزائر مستقبلا .

ومن بين هذه الدّراسات التي تعدّ الأولى لأدب الطفل في الجزائر : دراسة أوبشير نصيرة: الحوار في أدب الطفل الجزائري – القصّة أنموذجا – دراسة تداوليّة (2014م) كبير دليلة : الأنشودة في أدب الطفل الجزائري – القيم الفنيّة و الموضوعاتيّة – (2015م). سميلي نعيمة : المسرح في أدب الطفل الجزائري – عز الدين جلاوجي أنموذجا – دراسة دلالية (2014م)، خلوفي فتيحة :- الحكاية الشعبية في أدب الطفل الجزائري- أحمد بورايو أنموذجا – (2014م)، حامدي فاطيمة : القصة في أدب الطفل الجزائري – أحمد خياط أنموذجا – (2015م)، وناجي هجيرة : القصة في أدب الطفل الجزائري –رابح خدوسي أنموذجا- دراسة أسلوبية (2014م)....

و هذه النّصوص الموجّهة للأطفال في الجزائر من (قصة وشعر، ومسرحيّة وأنشودة وبرامج إذاعية، وصحافة ورسوم متحرّكة، ومجلاّت ...) بحاجة ماسّة إلى دراسات وأبحاث معمّقة لفتح المجال أمام من يستهويه هذا الأدب.

كما نؤكّد أنّ الأدب بطبيعته تفاعلي، وأن النّص الأدبي لا يكتسب قيمته ولا يتحقّق وجوده إلا بوجود متلقي متفاعل معه .

وما أمكن أن نقوله في ختام هذا العمل بأنّ الطفل يبقى دائما جوهرة ثمينة في نفوسنا كأمهات وآباء وأدباء وكنز المستقبل، والمحافظة عليه واجب ديني، لأن حبنا له هبة من الله العلي القدير، وأمانة في أعناقنا مدى الحياة، وخاصّة إذا حافظنا عليه الآن لا نخشى عليه في المستقبل.

والجديد في أدب الأطفال حاليًا هو أنّ الطّفل لا يكتفي بما يقدّم له نجده دائمًا يبحث عن المزيد للاستطلاع عن الجديد، فهو لم يعد يهتم بالقراءة بقدر ما أصبح يهتم بالتطور التكنولوجيي، وابتعد عن كل ما هو ورقيّ وإنّما يريد الملموس، لأن هناك فارق كبير بين الطّفل قديمًا وحديثاً، لأنّ الطّفل في القديم كان يستقبل كل ما يقدم له، والآن أصبح عكس ذلك، لأنّ الطّفل القديم لم يعد هذا الطفل الجديد الذي صنعه هذا العصر الحديث .

لذلك على الكاتب أن ينظر إلى الحاضر أو بإعادة الماضي في صورة جديدة، لأن الطفل الآن يبحث عن المستقبل، ولا يعتمد على السطحية والشفافية، وإنما يبحث عن التعقيد لتفكيكه وعن الوسائل المساعدة على الفهم، لا الجمود، وهذا ما نلاحظه في تقديم المادة التعليمية . فكلّما تقدّمت فترة زمنية ابتكر شيء جديد ينمّي خبراته وابتكاراته لغد أفضل،لأن طفل هذا العصر هو بمثابة كوكب خيالي سحري، يساير هذا العصر بكل مستجدّاته، وتطوراته .

أدب الأطفال الآن لم يعد ذلك الأدب السّطحي الذي يعتمد على التّكرار والتّقليد، بل تعدّاه إلى مستويات تفوق مستوى الطفل . وفي الجزائر عندما نبحث عمّا يقال كثير وعمّا يطبّق قليل .

والشيء الملاحظ في الجزائر والعائد للطفل سلبيًا، هو عدم اهتمامه بحاجياته لتكاثف الدّروس عليه التي أصبحت تشكّل عائقًا في طريقه، كما لا توجد في المؤسّسات التربوية وسائل تعليمية تشجع الطفل على الإبداع، كقراءة الشّعر، كتابة مجلة مدرسية، أو كتابات أخرى إبداعية، وتمثيليات ... أصبح طفلنا اليوم فقط يستقبل لضيق الوقت عليه .

لذلك على كتّابنا أن **يراعوا** حاجيات الطّفل على حسب مطالبهم، فكلّما جدّدنا وأبدعنا نتقدم بعشرة خطوات نحو الأمام . وهذه هي وجهة نظري عما يكتب للطفل وعمّا يواجه الطّفل في الجزائر، لذلك لابدّ أن نتكاثف في تقديم أحسن عمل يتماشى مع حاجاته .

الهوامش:

[1]- انظر هبة محمد عبد الحميد، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006م، ص 268 .

[2]- انظر المرجع نفسه، ص 271 .

[3]- المرجع نفسه، ص 274 .

[4]- انظر المرجع نفسه، ص 265 - 266 - 267.

[5]- انظر أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1994م، ص298 .

[6]- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة، ط1، 2000م، ص 32 .

[7]– بن يحي أم كلثوم، بن دهان الطيب، أدب الطفل في المقرر المدرسي، دراسة نقدية، ص 4، نقلا من جريدة الفجر الجزائرية، الكتابة للطفل في الجزائر، 18-02-2009م.

[8]– محمد مرتاض، من قضايا أدب الطفل، دراسة تاريخية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 1994م، ص 07.

[9]– محمد بسام ملص، في أدب الأطفال، رؤية الحاضر بصيرة المستقبل، دار الكتب القطرية للنشر والتوزيع، قطر، ط1، 1426هـ - 2005م، ص 146 .

[10]– محمد مرتاض، من قضايا أدب الطفل، دراسة تاريخية فنية، ص 16.

[11]– انظر مريم سليم، أدب الطفل وثقافته، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص 18-19.

[12]– صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ - 2002م، ص 287.

[13]– أنس داود، أدب الأطفال في البدء ... كانت الأنشودة، دار المعارف للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، 1993م، ص 90.